النيل في وجدان شاعرين

"شوقي ... محمود حسن إسماعيل"

دكتور عمر عبد المعبود عبد الرحمن

يتصل الشعر بالطبيعة اتصالا قويا ، فمنها نشأ ، وفي أحضانها ترعرع ، ومنها أخذ وصاغ غناه حاول به أن يحاكيها ويقترب به من كمالها • ومن ثم تعد الطبيعة مصدرا مهما من مصادر الهام الشعراء ، يلجأون اليها متأملين ظواهر الحياة والكون ويهرعون اليها مستلهمين من خلالها وحي الشعر •

يقول محمود حسن اسماعيل :

« والطبيعة المصرية لوحة غنيه رائعة ، وشاها النيل منذ فجر الله — تعالى — ينابيعه في هذا الوادى الخصيب ، بأصباغ فذة ، ألوان تثير شغف الفنان ، وتحرك فيه الميل الى تصويرها في فنه »(١) •

فالطبيعة بحر زاخر ينهل منه الشعراء معانيهم وأفكارهم وصورهم ، وهي في مختلف مظاهرها تعد المنهم الأول لكل أديب أو شاعر •

ومن أهم ما يلفت نظر الشعراء من مظاهر الطبيعة « المياه » فهي ذات جمال خلاب ، وسحر جذاب ، في جريانها في الأنهار ، وارتفاعها أمواجا في البحار وسريانها في الجداول والقنوات• فالعين تستمتع بالنظر الى المياه الجارية أو المتدفقة والأذن تصغى لسماع صوت الماء وهو ينحدر ، والبحر ابن الطبيعة الأكبر كما يقال(٢) •

---

(١) ديوان أغاني الكوخ ص : ٢٣٠ •

(٢) راجع دراسات نقدية • مصطفى السحرتي ص : ١٠٩ •

وقد الهمت هـذه المناظر المائيـة الشـعراء بالكثير من المعانى الرائعة ، ونال اعجابهم جمالها وسحرها • فصوروها وأبدعـوا فى تصويرها ، ووقفوا على خواطئها متأملين وواصفين •

وقد شاءت ارادة الله ـ تعالى ـ أن تتبوأ مصرنا الغاليـة مكانـا متميزا وفريدا بين بلدان العالم ، ومنحها المولى ـ عزوجل ـ كثيرا من المنـاظر المائية الساحرة فهى تطـل على البحرين الأحمـر والأبيض المتوسط ، ومنظـر البحر دائما يوحى بمعان من الجمـال أكثر مما فى الواقع ، ومن ذا الذى يشعر بتلك المعانى سوى الأديب ؟ • انه يحاول ما وسعه الجهد أن يخـرج أثره الغنى ممزوجا بشـعوره ومعبرا عن ذاتـه(٣) •

كذلك فقد منح الله ـ تعالى ـ مصر نهر النيل ، ذلك النهر الذى يعد مظهرا من مظاهر الطبيعة الكبرى التى لعبت فى حيـاة الانسـان وتطوره دورا كبيرا له أهميته فى حضارته بما يتضمنه من فنون وآداب •

والى نهر النيل يرجع الفضل فى تكوين أقدم حضارة عرفها التاريخ، وهو فى ذلك يختلف (عن بقية أنهار العالم ، ولاسيما فى الشرق الأدنى، فعلى دجلة والفرات قامت حضارات ، ودويلات كثيرة ، أما مصر فقـد امتازت حياتها وحضارتها بالوحدة كما امتازت بالقدم والاستمرار)(٤)

وقد تفرد نهر النيل من بين أنهار الدنيا بهذه الشخصية الأسطورية التى تجاوزت طبيعته الجغرافية الى نوع من اثارة الخيال الدينى مره

---

(٣) راجع النقد الأدبى • أحمد أمين جـ١ ص : ٥٢ ط : ١٩٧٢م •

(٤) النيل فى الأدب المصرى • د / نعمات أحمد فؤاد ص : ٤٥ •

والتاريخى القومى مرة أخرى بل لقد أصبح عنصرا من عناصر التكوين الاجتماعى لشعوب وادى النيل(٥) .

ونهر النيل الى جانب كونه أهم شريان للحياة فى مصر ، فقد ولد أمة ونشأها وغذاها ، وأسس حضارة عظمى ونماها ، ومن ثم فقد احتل هذا النهر مكانا بارزا فى التفكير العلمى والالهام الأدبى فى جميع العصور فالنيل منذ القدم ملهم الأدباء والشعراء منهم بخاصة ، تغنى به الشعراء قديما وأعجبوا بجماله ، وألهمهم بالخيال الخصب ، فرسموا للنيل صورا باطفه حسيه ، يقول : عوض على الغباوى « ألهم نيل مصر الشعراء خيالا خصبا ، فصوروه فى شعرهم تصويرا أسقطوا فيه على النيل مشاعرهم وعواطفهم »(٦) .

والواقع أن النيل منذ القديم لم يكن مجرى ماء كبير فحسب ، بل كان ظاهرة طبيعية كبرى ، وسمة متميزة من سمات مصر أوحت الكثير من الفن وحملت كثيرا من العقائد وفجرت الكثير من الأحاسيس والقصص والأساطير(٧) .

.. وهو بهذا كله جدير بالعناية والدراسة .

وقد ظفر النيل بعناية الشعر المصرى ، فصور الشعراء مرآه فى الصباح ووسط النهار وعند الغروب ، وصوروا شواطئه والمعاهد المتصلة

---

(٥) راجع : تجارب نقدية وقضايا أدبية . محمد ابراهيم أبو سنة ص : ١٣٧ . سلسلة اقرأ يناير سنة ١٩٨٦م .

(٦) شعر الطبيعة فى الأدب المصرى فى القرن الرابع الهجرى ص : ٦٥ .

(٧) راجع : النيل فى الأدب المصرى ص : ٦٤ .

به ، والسفن السابحة فيه والبدر والكواكب والشموع المترائية فى مائه ، والأشجار والرياض الحافة من حوله وأسبغوا عليه أكرم الصفات ، وأشرف المحامد(٨) .

* وها هو ذا القاضى الفاضل يصور صلة الشعراء بنهر النيل حين يذكر أنه لا يرتوى بغير مائه ، فيقول :ـ

بالله قل للنيل انني ... لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لى شاهد ... ان كان طرفى بالبكاء بخيلا(٩)

** واذا كان الشعر المصرى قد اهتم بنهر النيل ، فان نهر النيل لم يجد فى الأدب العربى القديم من يعنى بشأنه سواء أكان الشاعر ممن زار مصر وأقام على ضفاف النهر أم ممن سمعوا به(١٠) .

وقد زار مصر من كبار الشعراء العرب عدد ليس بالقليل ، من بينهم : أبو نواس وقد مدح والى مصر « الخصيب » بشعر جميل لم يرد فيه ذكر النيل ومصر الا عرضا كما نرى فى قوله :ـ

أنت الخصيب وهذه مصر ... فقد فقا فكلاكما بحر :(١١)

* ونشأ فى مصر : أبو تمام حبيب بن أوس ، ولا نراه يذكر مصر ونيلها ، مع أنه كان يسقى ماء النيل بالجرة فى المسجد الجامع بمصر !!(١٢) .

---

(٨) شعر الطبيعة فى الأدب العربى . د / سيد نوفل ص : ٢٠٢ .
(٩) نفح الطيب جـ١ ص : ٣٦ ط : دار صادر ١٩٦٨م .
(١٠) مجلة المجلة ص : ٧ أغسطس ١٩٥٧م . العدد (٨) .
(١١) ديوان أبى نواس ص : ٤٧٩ دار الكتاب العربى ـ لبنان .
(١٢) المرجع السابق ص : ٧ .

وكذلك من أشهر من زار مصر : أبو الطيب المتنبى ، وقد ذكر النيل عرضا فى قصيدة يصف فيها الأسد الذى قتله بدر بن عمار :ـ

أمعفر الليث الهزبر بسوطه
لمن ادخرت الصارم المصقولا ؟
برقعت على الاردن منه بلية
نضدت بها هام الرفاق تلوه
ورد اذا ورد البحيرة زائرا
ورد الفرات زئيره والنيلا(١٣)

* فالمتنبى أشار فى بيتين متتابعين الى نهر الأردن والفرات والنيل وبحر طبرية ومع أنه قصد مصر بعد ذلك وأقام فيها زمنا ليس بالقصير وأنشد بها عدة قصائد الا أنه لم يأت فيها ذكر لنهر النيل(١٤) .

واهمال الشعراء العرب القدامى لنهر النيل فى أشعارهم راجع الى أسباب أهمها :

ـ أن وصف الأنهار والبحار والغابات لم يكن من الموضوعات التى ألفها شعراؤنا ، كما أن اتجاه الشعراء الى المدح فى العصر العباسى جعلهم يعرضون عن مناظر الطبيعة الى مظاهر الحضارة وما يحيط بالممدوحين من أسباب الترف والرفاهية أو أعمالهم فى الفتوح والحروب ، أضف الى ذلك أن مناظر الطبيعة لم تلق العناية الواجبة فى الشعر الانجليزى ـ مثلا ـ الا منذ العهد الرومانتيكى .

---

(١٣) شرح ديوان المتنبى جـ٣ ص : ٣٥٤ دار الكتاب العربى لبنان ١٩٧٩م .

(١٤) مجلة المجلة ص : ٨ العدد السابق .

كذلك فان الشعراء فى أوائل العهد العربى لم يكونوا من المصريين، لأن سكان مصر لم يتخذوا اللغة العربيه لسانا لهم ، ولم تصبح مصر ميدانا للأدب العربى وللانتاج الأدبى الا بعد الفتح ببضعة قرون ، ولا يجوز لنا أن ننتظر أن يكثر ذكر النيل فى الشعر العربى الا بعد أن تنتشر العربية فى مصر انتشارا واسعا ، وبعد أن تصبح هى لغة الأدباء من أهل مصر .

ومع ذلك فان الشعراء المصريين كانوا أول الأمر مقيدين بما ورثوه من تقاليد شعرية تلقوها عن الشعراء الأوائل ، وهذه التقاليد قيدتهم بقيود ، ووجهتهم وجهات خاصة فى شعرهم .

وفى العصر الذى أخذ فيه الشعراء المصريون يعالجون موضوع نهر النيل كان الشعر العربى فيه قد أخذ مستواه ينحط كثيرا عما كان عليه فى العصر العباسى الأول وبالتالى لا يجوز لنا أن ننتظر من شعراء مصر انتاجا فنيا رائعا فى هذا المجال(١٥) .

ويؤكد الاستاذ / عبد العزيز حميدة . أن البيئة المصرية (لم تترك فى الأدب العربى الا آثارا قليلة كرسالة عمرو فى وصف البلاد ، وهى أقوى ما أثر على الرغم من أنها لم تكن مقصودة لذاتها .. وقد تجد بعض أسماء الاماكن المصرية ، واسم مصر نفسها يتردد كثيرا فى الأدب ، والشعر خاصه ولكنه لا يتجاوز سرد الأسماء .. وأما النيل فكان وحيه ضعيفا الى الأدباء على الرغم من قوته وسحره ، وخيراته ووضوح آثاره واختلاف أحواله على مدى العام)(١٦) .

من هذا العرض نتبين : أن نهر النيل لم يحظ من الشعراء العرب

---

(١٥) المرجع السابق .

(١٦) الأدب العربى فى مصر من الفتح الاسلامى الى الفاطميين ص : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

القدامى بالاهتمام المنشود ، وكذلك من الشعراء المصريين الذين عاشوا فى العصر المتأخر نمع أنهم ذكروا النيل فى أشعارهم الا أن حديثهم عنه اقتصر على فيضانه ، والمقياس الذى يقاس به فيضان النيل ، وجزيرة الروضة ومنظر السفن والمراكب فى النيل ، وما الى ذلك ..

وفى العصر الحديث انتقل الشعر على يد البارودى من أسر الجمود والضعف والركود الى ذلك التحرر والتعبير الصادق ، اذ أعاد اليه رونقه وبهاءه وقوته ، ورجع به الى أساليبه القويمة الرصينة ، وخلصه من المعانى المحفوظة الى فسحة واسعة من التعبير عن العواطف والعصر وحوادثه النفسية ، ومن ثم عد البارودى رائدا للنهضة الشعرية الحديثة .

ومع أن البارودى تمرز بالشعر قفزة واثبة ونفخ فيه روحا جديدة من الأصالة أزال عنه كل ما يعوقه من شوائب البديع ، فانفجر النبع وتدفق الشعر ، ومع كل ذلك الا أنه فى شعره لم يوف النيل حقه كشاعر مصرى وكشاعر وصاف للطبيعة مغرم بها ، لقد كان النيل عنده مجرد منظر يلمحه لمحا حين يصف الأهرام أو فى حديثه عن روضة المقياس الذى يقاس به فيضان النيل .

أما حافظ ابراهيم : الذى عرف بشاعر النيل ، فمن العجب أنه لم يتعلق به ، أو تعلق المنظر منه بملابسه كلها ، كان النيل يأتى فى شعر حافظ تابعا ، اذ أنه لم يخصه فى ديوانه بقصيدة ، ولم يستأثر من نفسه بتجربة شعرية كاملة(١٧) .

اذا كان الأمر كذلك لدى كبار الشعراء المصريين فى مطلع العصر الحديث — كما رأينا — فماذا عن النيل فى وجدان صاحبينا : .. شوقى ، ومحمود حسن اسماعيل ..

---

(١٧) راجع : النيل فى الأدب المصرى ص : ٢٢٧ ، ٢٣٦ .

أولا ــ النيل فى وجدان شوقى(١٨) :

يعد الشاعر أحمد شوقى : أول شاعر عربى يخص النيل بقصيدة مطوله ، فقد بلغت قصيدته فى النيل مائة وثلاثة وخمسين بيتا ، فى الوقت الذى كان الشعراء يتعرضون للنيل فى أشعارهم من خلال أبيات ، أو مقطوعات صغيرة فى مواقف عابرة ثم يخلصون الى موضوع القصيدة الأصلى ، لكن « شوقى » خص النيل بهذه القصيدة الرصينة التى تناول فيها وصف النيل والحوادث التاريخية التى تتصل به • وذكر فيها حضارة مصر وآثارها وملوكها ووصل كل ذلك بنهر النيل ••

* وهذه القصيدة أهداها شوقى الى المستشرق الأستاذ (مرجليوث) مدرس اللغة العربية بجامعة اكسفورد ، يتضح ذلك من المقدمة النثرية التى ضمنها شوقى لهذه القصيدة فى ديوانه •

وربما كان هذا الاهداء راجعا الى رغبة شوقى فى ايقاف المستشرقين الغربيين على مدى اهتمام الأدب العربى بنهر النيل وصلة شعرائنا بهذا النهر الخالد ، وخاصة أن الغربيين لهم قصائد فى النيل

---

(١٨) أحمد شوقى : (١٢٨٥هـ ــ ١٨٦٨ ــ ١٩٣٢م) أشهر شعراء العصر الحديث ، عالج أكثر فنون الشعر : مديحا وغزلا ، ورثاء ، ووصفا ، ثم ارتفع محلقا فتناول الأحداث السياسية والاجتماعية فى مصر والشرق والعالم الاسلامى فجرى شعره على كل لسان وكانت حياته كلها للشعر يستوحيه من المشاهدات ومن الحوادث • وقد طبقت شهرته الآفاق فأينما حل أقيمت له الاستقبالات • وكان بيته « كرمة بن هانى » منتدى الأدباء والشعراء وكبار رجال عصره ••

راجع : ترجمته فى : معجم المؤلفين • عمر رضا كحالة جـ ج ص : ٢٤٦ ، والأعلام لزركلى جـ١ ص : ١٣٦ ، ١٣٧ ، وشوقى شاعر العصر الحديث للدكتور / شوقى ضيف •

فأراد شوقى أن يمس فى أدهانهم أننا لسنا أقل شأنا فى الاهتمام بنهر النيل وها هى ذى قصائدنا تضارع أشعار الغربيين بل وربما بزتها وتفوقت عليها .

* وقد بدأ شوقى قصيدته فى النيل متعجبا من غزارة النيل وعذوبة مائه وخيراته الدائمة مستغلا الخرافة التى تقول : ان النيل ينبع من الجنة ، فخاطبه قائلا :ـ

أيهـا النيـل : ـ

من أى عهـد فى القرى تتدفق
وبأى كف فى المدائن تغـدق ؟
ومن السماء نزلت أم فجرت من
عليـا الجنان جداولا تترقرق
وبأى عيـن أم بأيـة مزنـه
أم أى طوعان تفيض وتغدق ؟
وبأى نول انت ناسـج بـرده
للضـفتين جديدهـا لا يخلق
أسـود ديباجـا اذا فارقتهـا
فاذاحضرت اخضوضر الاستبرق
فى كل آونـة تبـدل صـبغة
عجبـا وأنت الصـابغ المتأنق
أنت الدهور عليـك مهدك مترع
وحياضـك الشرق الشـهية دفقا
تسـقى وتطعم لا انقطاع ضـائق
بالـواردين ولاخـوانك ينفـق

والمـــاء تسكبه فيســـبك عسجدا
والأرض تعرقها فيحيا المغرق(١٩)

* فالنيل كما نرى هو الذى يطعم ويسقى ولاخوانه ينفق ومع ذلك لا يكل ولا يمل على مر العصور والأزمان ، بسببه تحيا الأرض مخضرة بعد موتها •

وقد استعان شوقى فى أبياته بالعديد من الصور الفنية التى تقوم على التشخيص والتجسيم ـــ فمثلا ـــ فى قوله : (وبأى كف فى المدائن تغدق ؟) يصور النيل فى صورة رجل كريم ، متناسيا الرجل ، وذاكرا ما يلزم عليه التصوير ، فدار الكلام على طريقة الاســـتعارة المكنية ، ولا شك أن قيمة هذا التصوير ـــ ومثله تسقى وتطعم ـــ تضـــيف الى النيل الحيوية والنشاط ، ويدل على كرم النيـــل وعطائه ، فضـــلا عن الاستفهام الذى يفيد التعجب من عطاء النيل وخيراته •

وفى قوله :ـــ

وبأى كف أنت ناسج برده للضفتين جديدهـــا لا يخلق

* أسند الأفعال للنيل واعتبره ناسج المياه على ضفتيه كنســـج البردة على النول ، وهى صورة تشخيصية تبعث على استحضار جمال المرى ، ودقة الصنعة ونفاسة المصنوع ••

كذلك هذه الكناية الرائعة فى قوله :ـــ

تســـود ديباجا اذا فارقتها فاذا حضرت اخضوضر الاستبرق

---

(١٩) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٣٣ •

* ففى الصدر الاول من البيت كناية عن جدب الأرض وقحطها وقلة خيراتها ، وهذا ناتج عن فراق النيل لها وعدم تدفقه عليها وما ينتج عن ذلك من ضيق النفس وقلقها فاذا جاء النيل على الأرض اخضرت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، فجاء معه بالفرحة والأمل الذى يحيى موات النفوس ويجعلها تواقة لأن تحيا وتتشبث بالبقاء بعد أن تكرم النيل بالعطاء ، وتفضل عليها بالخيرات .

وكذلك الكناية عن صلابة النيل وصموده أمام أحداث التاريخ فى قوله :—

أنت الدهر عليك منك متزع وحياضك الشرق الشهية دفق

* وفى قوله : والارض تغرقها فيحيا المغرق . صور كثرة عطاء النيل فى صورة الاغراق ثم نزع بعد ذلك ما يمكن أن يوحى به لفظ الاغراق من الهلاك ، فقال : فيحيى المغرق كأنه خلع على اغراق النيل صفة الاحياء مع أن المألوف هو أن يكون الاغراق سببا فى الهلاك ..

ثم ينتقل الشاعر الى الحديث عما دار حول منابع النيل ، فيقول :

تعى منابعك العقول ويستوى
متحبط فى علمها ومحقق
أحلفت وأورق الدهور ولم تزل
بك حمأة كالمسك لا تتروق
حمراء فى الأحواض الا أنها
بيضاء فى عنق الثرى تتألق(٢٠)

* فهو فى اسناده الاعياء للمنابع يصور أن حقيقة النيل أكبر وأعمق من أن يصل اليها أحد وفى اسناده الاخلاق الى النيل ما يوحى بتطاوله

---

(٢٠) ديوان شوقى ص : ٢٣٤ .

وخلوده على مر الدهور • ثم وصف الحمأة بأنها حمراء فى الأحواض ومع أنها كذلك الا أنها فى الحديقة بيضاء تتوج عنق الثرى كأنهـا درة فريـدة نزينـا •

•• ثم تحدث عن عبادة قدماء المصريين للنيل ، ويرى أن ذلك نابع من عظمته فى رؤاهم ، ولم لا يؤله من يقوت ويرزق ؟ أنـه جدير بهذه المرتبـة السـامية فيقول :

دين الاوائل فيـك دين مروءة
لم لا يؤله من يقـوت ويرزق
او أن مخلوقـا يؤله لم يكـن
لسـواك مرتبه الالوهة تخـلق
جعلوا الهوى لك والوقار عبـادة
ان العبـادة خشـيـة وتعـلق
دانـوا بيجـر بالمكـارم زاخـر
عذب المشـارع مدة لا يلحـق
متقيـد بعهـوده ووعـوده
يجرى على سنن الوفاء ويصدق
يتقبل الوادى الحيـاة كريمـه
من راحتيـك عميمـة تتدفـق
منقـلب الجنيـن فى نعمـائـه
يعرى ويصبغ فى ذراك فيورق
فيبيت خصبا فى ثراه ونعمـة
ويعيه مـاء الحيـاة الموسق

واليـك بعـد الله يرجع تحتـه
ما جف أو ما مات أو ما ينفق(٢١)

* فهو فى الأبيات السابقة يشير الى تأليه الفراعنة للنيل وعبادتهم له ، بدعوى أن النيل يعطى ويرزق ويحيى فى اعتقـاد الأوائل ، فماؤه يحيى الأرض الجدباء التى تنبت الكلأ فتحيى الأنام ، غير أن الشـاعر استدرك عليهم فى البيت الثانى فجعله مخلوقا وصاغ حكمه فى جملـة شرطية مصدرة بلو لتكون مستحيلة التحقيق .

ولا يخفى جمال التصوير فى قوله :ـ

يتقبل الوادى الحياة دريمة من راحتيـك عميمة تتدفق

* حيث يمضى الشاعر فى تصوير النيل بشخص تحرر مختارا كلمة : « راحتيك » بدل « يديك » لمـا تشيعه من راحة واستقرار بعد العطاء مما يضفى على النيل التشخيص ويبعث فى جنباته الحيـاة والحيويـة والحـركـه .

ومثله قوله :ـ

* « ويصبغ فى نداك فيورق » ..

* كذلك فقد شبه النيل بمن يفى بعهده ووعده على مر الأيام فى قـوله : ـ

* يجرى على سنن الوفاء ويصدق ..

* فقد أشاعت كلمة الوفاء الطمأنينـة والأمن فى نفـوس الذين يعيشون على نواله ..

---

(٢١) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

ثم ينتقل الشاعر الى الحديث عن ملوك مصر ، وعن الصروح الشامخة التى شيدوها وعن مجد مصر القديم ، فيقول : ــ

أين الفراعنة الالى استذرى بهم
عيسى ويوسف والكليم المصعق
الموردون النفس منهل حكمة
افضى اليه الأنبياء ليستقوا
الرافعون الى الضحى آباءهم
عالشمس أصلهم الوضيء المعرق
وكأنما بين البنى وتبورهم
عهد على أن لا دماس وموثق
فحجابهم تحت الثرى من هيبة
كحجابهم فوق الثرى لا يخرق
بلغوا الحقيقة من حياة علمها
حجب مكثفة وسر مغلق
وتبينوا معنى الوجود فلم يروا
دون الخلود سعادة تتحقق
يبنون للدنيا كما تبنى لهم
خرب غراب البين فيها ينعق
فقصورهم كوح وبيت بداوة
وقبورهم صرح أشم وجوسق
رفعوا لها من جندل وصفائح
عمدا فكانت حائطا لا ينتق
تتشابه الدارات فيه فما بدا
دنيا ، وما لم يبد أخرى تصدق

للمـوت سـر تحتـه وجـداره
سور على السر الخفى وخندق
وكأن منزلهم بأعمـاق الثرى
بين المحـلة والمحلة فنـدق
موفورة تحت الثرى أزوادهم
رحب بهم بين الكروب المطبق(٢٢)

* ففى قوله : الواردون الماس منهل حكمة .. يريد أن النيل أصل الحكمة التى برع فيها الفراعنة ، وقد جاء غيرهم ليستقوا من منبع هذه الحكمة وهو النيل .

ولا يخفى جمال الكناية فى قوله : « الرافعون الى الضحى آباءهم » ففى هذا كناية عن سمو ورفعة الفراعنة ، وأصالتهم وعراقة حضارتهم .

وفى قـوله :ـ

وكأنما بين البلى وقبورهم عهد على أن لا مساس ووثق

* جعل البلى والقبور شخصين بينهما عهد على أن لا يصل البلى الى هذه الآثار وهذه الصورة تنم عن خلود هذه الآثار وبقائها على مر العصور والازمان .

ثم شبه أسرار علومهم تحت الثرى بأسرار علومهم فوقه فى عدم ادراك حقيقتها حتى الآن وكذلك فى قوله : « وكأن منزلهم ... فندق . فراح يشبه منازلهم تحت الثرى . وهى بها كافة ألوان العيش وطيبه ، ففى جمالها واستعدادها تشـبه الفندق فى نظافته وجمـاله وحسـن

---

(٢٢) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

صورته ، وتوفير الراحة لرواده واختيار (كان) لقرب المشبه من المشبه به ، أى أن منازلهم فندق ..

** ثم تحدث شوقى عن الآثار المصرية ، فقال :ـ

ولمن هيادل قد علا ابانى بها
بين الثريا والثرى تتنسق
منها المشيد كالبروج وبعضها
كالطور مضطجع أشم منطق
جدد كأول عهده وجبالها
تتقادم الارض الفضاء وتعتق
من كل شق كاهل الدنيا به
تعب ووجه الأرض عنه ضيق
عال على باع البلى لا يهتدى
ما يعتلى منه وما يتسلق
متمكن كالطور أصلا فى الثرى
والفرع فى حرم السماء محلق
هى من بناء الظلم الا أنه
يبيض وجه الظلام منه ويشرق
لم يرهق الأمم الملوك بمثلها
فخرا لهم يبقى وذكرا يعبق(٢٣)

* فى البيت قبل الأخير لفته ذكية من شوقى ، فهذه الآثار من ارهاق الظلم للعاملين بها ولكنه ظلم مقبول اذ أنه أنتج أثرا رائعا معجزا يدعو الى الفخر والمباهاة .

---

(٢٣) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٣٦ .

* وبعد أن استطرد الشاعر فى الحديث عن آثار مصر يعود الى مناجاة النيل ، فيخاطبه متعجبا ، ويقول :

فتنت بشطيك العباد فلم يزل
قاصى يتجمها ودان يرمق
وتصوغت منك الدهور كأنما
فى كل ناحيه بخور يحرق
وتقابلت فيها على السرر الدمى
مسرديات الذل لا تتفتق
عطلت وكان مكانهن من العلا
بلفيس تقبس من حلاه وتسرق
وعلا عليهن التراب ولم يكن
يزكو بهن سوى العبير ويلبق
حجراتها موطوءة وستورها
مهتوكة بيد البلى تتخرق
أودى بريقتها الزمان وحليها
والحسن باق وانشباب الريق
لو رد فرعون الغداة لراعه
أن العراق العلا لا تنطق
خلع الزمان على الورى أيامه
غداة الضحى لك حصة والرونق
لك من مواسمه ومن أعياده
ما تحصر الأبصار فيه وتبرق
لا الفرس أوتوا مثله يوما ولا
بغداد فى طل الرشيد وجاق

فتح الممالك أو قيام العجل أو
يوم القبور أو ارتفاع المونق(٢٤)

* فى هذه الأبيات احتفلت مشاعره بالنيل أيما احتفال فأسبغ عليه من الصفات ما حببه من القلوب وقربه الى الأفئدة فبدا بلا شبيه على الأرض .

* ثم انتقل الشاعر بعد ذلك الى وصف جلال موكب فرعون ، وهو عائد من فتوحه ظافرا مزهوا ، فقال :

ثم موكب تتخايل الدنيا به
يجرى كما تجلى النجوم وينسق
فرعون فيه من الكتائب مقبل
كالسحب قرن الشمس منها مفنق
تعنو تعزه الوجوه ووجهه
الشمس فى الآفاق عان مطرق
آبت من السفر البعيد جنوده
وأتته بالفتح السعيد الفيلق
ومشى الملوك مصفدين خدودهم
نعل لفرعون العظيم ونمرق
مملوكة أعناقهم ليمينه
يأبى فيضرب أن يمن فيعتق(٢٥)

---

(٢٤) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
(٢٥) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٣٧ .

* وهو هنا يلم بالعزة والغلبة التى تمتع بها الملوك الذين شادوا ملكهم على ضفاف النيل فما كان له وهو يتحدث عن النيل أن يهمل الحضارة التى نشأت على جنباته .

* ثم وصف العروس العذراء التى كانوا يلقون بها فى النيل كل عام من أجل الفيضان المنشود ، ووصف جمالها وأمنياتها ، والموكب الذى تسير فيه حتى يلقى بها فى النيل عن طيب خاطر ، بل ان أترابها كن يحسدنها على هذه المرتبة التى وصلت اليها فيقول :

ونجيبة بين الطفولة والصبا
عذراء تشربها القلوب وتعلق
كأن الزفاف اليك غاية حظها
والحظ ان بلغ النهاية موبق
لاقيت أعراسا ولاقت مأتما
كالشيخ يبغم بالفتاة وترهق
فى كل عام درة تلقى بلا
ثمن اليك وجرة لا تصدق
حول تدافع فيه كل نجيبة
سبقت اليك متى يحول فتلحق
والمجد عند العانيات رغيبة
يبغى كما يبغى الجمال ويعشق
ان زوجوك بنت فهى عقيدة
ومن العقائد ما يلب ويحمق
ما أجمل الايمان حولا ضلة
فى كل دين بالهداية تلصق

زغـت الى ملـك المـلوك يحثـها
ديـن ويدفعهـا هـوى وتشـوق
ولربمـا حسـدك عليـك مكـانها
ترب تمسـح بالعـروس وتحـدق
مجـلوة فى الفلك يحـدو فلـكها
بالشـاطئين مزغـرد ومصـفق
فى مهرجـان هـزت الدنيـا بـه
أعطـافها واختـال فيـه المشـرق
فرعـون تحت لوائـه وبناتـه
يجـرى بهـن على السـفين الزورق
حتى اذا بلـغت مواكبـها المـدى
وجـزى لغـايته القضـاء الأسـبق
وكسـا سـماء المهرجـان جـلالة
سـيف المنيـة وهـو صـلت يبرق
وتلفـتت فى اليـم كـل سـفينة
وانثال بالـوادى الجموع وحدقـوا
آلـت اليـك بنفسـها ونفيـسها
وأتتـك ذميـة حواهـا ضـيق
خلعت عليـك حياءهـا وحياتهـا
أأعـز من هـذين شىء ينفـق
واذا تنـاهى الحب واتفق المـدى
فالروح فى بـاب الضحيـة أليق(٢٦)

---

(٢٦) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

* وكأنه يعرض مثل هذه المواقف ليبرهن على أن هذه الأحداث وهذه المشاهد ذهبت وتلاشت والنيل كما هو باق على مر الأزمان بعظمته وشموخه • فالنيل قديم عاصر قدماء المصريين وآثارهم وعاصر فرعون ومواكبه ، وغير ذلك من المشاهد ، وكل ذلك ولى وانقضى أما النيل فعطاؤه مستمر ، وعظمته باقية الى الأبد •

* * ثم تحدث الشاعر عن حقيقة العالم السفلى ، فقال :

ما العالم السفلى الا طينة
أزلية تضوء وتفسق
هى فيه كالحصب العميم خميرة
يبد بما حملت اليه ويبثق
ما كان فيه للزيادة موضع
والى حماها النقص لا يتطرق
منبثة فى الارض تنتظم الثرى
وتنال مما فى السماء وتعلق
منها الحياة لنا ومنها ضدها
أبدا نعود لها ومنها نخلق
والزرع سنبله يصيب وحبه
منها فيخرج ذا وهذا يفلق
وتشد بيت النحل فهو مطنب
وتمد بيت النمل فهو مروق
وتظل بين قوى الحياة جوائلا
لا تستقر دوائلا لا تمحق(٢٧)

---

(٢٧) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٣٩ •

* ثم يعقب على هذا ببيان لقدرة الله ـ تعالى ـ ، ويذكر أن الأولين فتنوا بمظاهر القدرة الالهية فى السماء والأرض ، ولكنهم لم يهتدوا الى فكرة الخالق ، حتى أن الفراعنة عبدوا العجل أبيس وقدسوه ، ثم ذبحوه فى النهاية واكتشفوا زيفه ، يقول فى ذلك :

هى كلمة الله القدير وروحه
فى الكائنات وسره المستغلق
فى النجم والقمرين مظهرها اذا
طلعت على الدنيا وساعة تخفق
والدر والصخرات مما كورت
والفيل مما صورت والخرنق
فتنت عقول الأولين فألهوا
من كل شىء ما يروع ويخرق
سجدوا لمخلوق ونسوا خالقا
من ذا يميز فى الظلام ويفرق ؟
دانت بآبيس الرعية كلها
من يستغل الأرض أو من يعزق
جاءوا من المرعى به يمشى كما
تمشى وتلتذت المهاة وترشق
داج كجنح الليل زان جبينه
وصح عليه من الأهلة أشرق
العسجد الوهاج وشى جلاله
والورد مطرف خفة والزنبق
ومن العجائب بعد طول عبادة
يؤتى به حوض الخلود فيغرق

يا ليت شعرى هل أصاعوا العهد أم
حذروا من الدنيا عليه وأشفقوا
قوم وقار الدنيا فى أخلاقهم
والشعب ما يعتاد أو يتخلق
يدعون خلف الستر آلهة لهم
ملأوا الندى جلاله وتأبقوا (٢٨)

ثم تحدث عن سلطة الكهنة وعن « طيبة » والوفود والقرابين والزوارق التى تسبح فى النيل ، ويذكر أن كل هذه الأشياء تلاشت ولم يبق الا النيل الخالد ، يقول :

واستحجبوا الكهان ، هذا مبلغ
ما يهتفون به وذاك مصدق
لا يسألون : اذا جرت ألفاظهم
من أين للحجر اللسان الأذلق
أو كيف تخترق الغيوب بهيمة
فيما ينوب من الأمور ويطرق
واذا هم حجبوا القبور حسبتهم
وفد العتيق بهم ترامى الأنيق
يأتون طيبة بانهدى أمامهم
يغشى المدائن والقرى ويطبق
فالبر مشدود الرواحل محدج
والبحر ممدود الشراع موسق

---

(٢٨) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٤٠ .

حتى اذا ألفوا بهيكلها العصا
وفوا النذور وقربوا وأصدقوا
وجرت زوارق بالحجيج كأنها
رقط تدافع أو سهام تمرق
من شاطئ فيه الحياة لشاطئ
هو مضجع للسابقين ومرفق
غربوا غروب الشمس فيه واستوى
شاه ورخ فى التراب وبيدق
حيث القبور على الفضاء كأنها
قطع السحاب أو السراب الديسق
للحق فيه جولة وله سنا
كالصبح من جنباتها يتفلق
نزلوا بها فمشى الملوك كرامة
وجثا المدل بما له والملق
ضاقت بهم عرصاتها فكأنما
ردت ودائعها الفلاة الفيهق
وتنادم الأحياء والموتى بها
فكأنهم فى الدهر لم يتفرقوا(٢٩)

* ثم افتخر الشاعر بالمجد القديم ممثلا فى الحضارة المصرية العريقة ، فيخاطب النيل فى اعزاز وتقدير ، فيقول :

أصل الحضارة فى صعيدك ثابت
ونباتها حسن عليك مخلق

---

(٢٩) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

ولدت فكفلت المهد ثم ترعرعت
فأظلها منك الحفى المشفق
ملأت ديارك حكمه ، مأثورها
فى الصخر والبردى الكريم منمق
وبنت بيوت العلم بادخة الذرى
يسعى لهن مغرب ومشرق
واستحدثت دينا فكان فضائلا
وبناء أخلاق يطول ويشهق
مهد السبيل لكل دين بعده
كالمسك ريا ه بأخرى تفتق
يدعو الى بر ويرفع صالحا
ويعاف ما هو للمروءة مخلق
للناس من أسراره ما علموا
ولشعبه الكهنوت ما هو أعمق
فيه مثل للأفانيم العلا
ولجامع التوحيد فيه تعلق(٣٠)

* ثم يتحدث عن علاقة مصر بالأنبياء وصلة ذلك بالنيل ، فيقول:

تابوت موسى لا نزال جلاله
تبدو عليك له وريا تنشق
وجمال يوسف لا يزال لواؤه
حوليك فى أفق الجلال يرنق

---

(٣٠) ديوان شوقى جـ١ ص١ : ٢٤١ ، ٢٤٢ .

ودموع أخونـــه رسـائل توبـة
مسطورهن بشـاطئيـك منمـــق

وصلاة مريم فـوق زرعك لم يـزل
يزكـو أذكراهـا النبـات ويسـمق

وحظى المسيح عليـك روحـا طاهرا
بركـــات ربـك والنعيـم الفيـدق

وودائـع الفاروق عنـــدك دينـه
ولـــواؤه وبيـانـه والمنطـــق

بعث الصحابة يحملون من الهـدى
والحق ما يحبى العـقول ويعتق(٣١)

* ثم تحدث عن فتح العرب لمصر وعن عدلهـم والصـفات التى تحـاوا بهـا ، فيقـول : ـ

فتح الفتـوح من الملائـك رزدق
فيـه ومن أصـحاب بـدر رزدق

يبنـون لله الكنـانة بالقنـا
والله مـن حـول البنـاء مـوفـق

أحـلامس خيـل بيـد أن حسـامهم
فى السـلم من حذر الحوادث مقلق

تطوى البلاد لهم وينجـد جيشـهم
جيش من الأخـلاق غـاز مـوفق

فى الحـق سـل وفيه أغمد سـيفهم
سيف الكريم من الجهـالة يغرق

---

(٣١) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٤٢ .

والفتـــح بعى لا يهون وقعـــه
الا العفيف حســـامه المترفـــق
ما كانت الفســـطاط الا حائطـــا
يأوى الضـــعيف لركنـــه والمرهق
وبه تلوذ الطـــير فى طلب الكرى
ويبيت قيصـــر وهو منه مؤرق
عمرو على شطب الحصـــير معصب
بقـــلادة الله العـــلى مطـــوق
يدعو له الحاخام فى صـــلواته
موسى ويسأل فيه عيسى البطرق(٣٢)

وفى النهاية يتجه الى النيل مادحا اياه ، ذاكرا كرمه الوفير ، فيقول:

يا نيل أنت بطيب مانعت الهدى
وبمدحه التوراه أحرى أخلق
واليك يهدى الحمد خلق حازهم
كتف على مر الدهـــور مرقـــق
كنف كمعن أو كســـاحة حاتم
خلق يودعـــه وخلق يطـــرق
وعليك يجنى من مصونات النهى
خود عرائس خـــدرهن المهرق
الدر فى لباتهـــن منظـــم
والطيب فى حبراتهن مرقرق(٣٣)

---

(٣٢) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٤٣ .
(٣٣) ديوان شوقى جـ١ ص : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

ثم يختم القصيدة مادحا النيل مدحا ليس فيه تكلف ، أو تملق ، ويوصيه باكرام بنيه ، وليس ذلك بغريب عليه ، اذ الوفاء منه محقق لا ريب فيه ، فيقول :

لى غيث مدح ليس فيه تكلف
هطلاه حب ليس فيه تملق

مما يحملنا الهوى لك أفرخ
سنطير عنها وهى عندك ترزق

تهفو اليهم فى التراب قلوبنا
وتكاد فيه بغير عرق تخفق

ترجى لهم والله جل جلاله
منا وفيك بهم أبر وأرفق

فاحفظ ودائعك التى استودعتها
أنت الوفى اذا اؤتمنت الأصدق

للأرض يوم والسماء قيامة
وقيامة الوادى غداة تحلق(٣٤)

تلك هى قصيدة « شوقى » فى النيل ، يتضح من خلالها الحيز الكبير الذى شغله نهر النيل فى وجدان : شوقى ، ولا أكون مغاليا اذا قلت : ان قصيدة شوقى فى النيل فريدة فى بابها اذ لم يسبقه شاعر خصص للنيل قصيدة مطولة كقصيدته ، فقد تناول شوقى فى هذه المطولة العديد من الصور الجزئية التى تكونت منها فى النهاية الصورة الكلية العامة التى شكلها بوجدانه ومشاعره لموضوع قصيدته . فقد

---

(٣٤) ديوان شوقى جـ١ ص ٢٤٤ .

دلل شـــوقى على عظمه النيل وخلوده وخيراته ، وتناول العـديد من القصص القديمة والأحداث التاريخية ووصل كل ذلك بنهر النيل .

ومع أن هذه الأشياء تلاشت وولت الا أن النيل ظل دائما يعطى فى استمرار بلا انقطـــاع ودون كلل أو ملل . ولا غرابة فى ذلك فهو واهب الحياة لمصر ، اذ لولاه ما قامت حضارة ، ولا اخضرت أرض ، ولا أينعت ثمرة .

والقصيدة أخيرا خير دليل على ثقافة شـــوقى الواسعة ومدى المـــامه بالأحداث التاريخية اذ عرض فيها الكثير من القصص كقصـــه الحضارة المصرية وقصة الديانة القديمة وقصة عروس النيل ، وقصة فرعون ، وقصة الفتح العربى لمصر ، وغير ذلك ، وهذا لا يتأتى الا لرجل تشعبت ثقافته وتعددت معارفه .

« اذا كان هذا هو شأن النيل عند شـــوقى فماذا عنه عند محمود حسن اســـماعيل »

ـ النيل فى وجدان : محمود حسن اسماعيل(٣٥) :

يعد محمود حسن اسماعيل مدرسة شـــعرية جديدة فى الشـــعر العربى الحـــديث ، فهو (علامة بارزة على الطـــريق لمن يدرس تطور

---

(٣٥) ولد محمود حسن اسماعيل بقرية (النخيلة) مركز أبو تيج محافظة أسيوط وهى قرية تطل على نهر النيل من الجانب الغربى ، وكان مولده فى الثانى من شهر يوليو سنة ألف وتسعمائة وعشرة من الميلاد ، وتوفى عام ألف وتسعمائة وسبعة وسبعين من الميلاد .

راجع : ترجمتـــه فى : التصـــوير الفنى فى شـــعر محمـــود حسن اسماعيل محاولات للتذوق الفنى ص : ٧ أنس داود .

الشعر فى مصر وحياة الشعراء المجيدين الرافعين للوائه بعد شوقى وحافظ وأضرابهما من شعراء الطليعة الاولى)(٣٦) •

يقول د/ عبد العزيز الدسوقى . (لا أعرف شاعرا — بعد شوقى — استأثرت التجربة الشعرية بحياته وحولتها الى وهج فنى حار ، كما استأثرت بحياة محمود حسن اسماعيل ، فلقد تحولت حياته الى تجربة شعريه كبيرة ، قبل ان تصل اليها تجربة فنية فى العصر الحديث)(٣٧) •

وقد ألهم نهر النيل الشاعر محمود حسن اسماعيل بالكثير من المعانى والصور الرائعة والمطلع على دواوين الشاعر يجد دون عناء أن النيل فى شعره قد حظى بنصيب كبير فقد تناوله الشاعر فى قصائد عدة ، وأحيانا كان يطلق على القصيدة (أغنية) يتضح ذلك من تسميته احدى قصائده فى النيل (أغنية النيل)(٣٨) •

وقد ارتبط الشاعر بالنيل منذ نعومة أظفاره ، اذ نشأ فى قريته التى كانت تطل على نهر النيل ، وكان يقضى معظم وقته مع رفاقه على ضفاف النهر الخالد ، يقول : (ولم أكن فى معظم الوقت مع أهلى فى الدّاخور بل كنت أعيش فى « الغيط » على مشارف نهر النيل جنوب أبو تيج)(٣٩) ولذلك نما حب النيل فى نفس الشاعر ومشاعره ووجدانه بل يذهب الى أن النيل خير ملهم الشاعر ، يقول :

---

(٣٦) مجلة الثقافة العدد الخاص يونيو ١٩٧٧م • عامر بحيرى •

(٣٧) محمود حسن اسماعيل ، مدخل الى عالمه الشعرى ص : ٨ سلسلة اقرأ — دار المعارف المصرية ١٩٧٨م •

(٣٨) ديوان : صلاة ورفعن ص : ١٢٧ •

(٣٩) التصوير الفنى فى شعر محمود حسن اسماعيل ص : ١٧ •

يسمونه النيل وهو ندى ينيل ويشفى صدى الظامئين
سقى الدهر من جاءه فارتوى وروى بخمرته الملهمين

* معنى بأسراره الشاعر *
* وكبر فى شطه الكافر *
* وخر له السحر والساحر *
* وما تهادت عليه الصبا *
* تصابى فحيا خطا العاشقين ! *(٤٠)

لقد سقى النيل بخمرته الملهمين ، فتجاوب معه الشعراء ، وتغنوا به.

النيل ملهم الشعراء ، وهو عماد الطبيعة الساحرة ، وهو فتنة الكون ، وشاعرنا من الشعراء الذين أحبوا النيل وفتنوا بجماله فحياه ، وقال انه خمر كل الملوك ، وحديث الزمن ، وهو نشيد الوطن الحبيب ، يقول فى قصيدة : أغنية للنيل :

حياك قلب الوجود يا فتنة الكون
يا نيل يابن الخلود يا خمر فرعون
يا قصة فى الديار تروى حديث الزمن
تلقى نشيد الفخار فى سمع هذا الوطن(٤١)

والنيل قديم قدم الزمن ، والناس كلهم فى خضوع له ، وحاجة اليه ، من منبعه الى مصبه ، فخصبه أساس الحياة ، وخيره للجميع ، ومع أن النيل مرت عليه الدهور حتى شاب الزمن الا أنه كما هو يعطى دون انقطاع ، يقول :

---

(٤٠) ديوان : أين المفر ص : ٥٧ .
(٤١) ديوان صلاة ورفض ص : ١٢٨ .

شـــيبت عمـــر الزمان وأنت فجـــر جميـــل
ســـكران تقى الحنان واحب تحت النخيل(٤٢)

والنيل عطاؤه لمصر لا ينقطع منذ عهد خوفو أحد ملوك الفراعنة ، ولذلك عبده القدماء لمـــا رأوا من نفعه وفوائده التى يغدقها على سكان الشمال والجنوب على السواء ، يقول :

البيض أهل الشـــمال خـــروا على بابك
والسمر خف الجبـــال صـــلوا لأمواجـــك
من عهد « خوفو » القديم وأنت راعى الذمـــم
تجـــرى لنقـــر النعـــيم من عاليـــات القمم(٤٣)

فالنيل جبار الطبيعـــة تمضى الســـنون وتختفى الحقب وهو باق لا يتغير وهو يعطى الخير للجميع دون من أو تفرقة .

ثم ينتقل الشاعر الى صورة أخرى ، وهى صورة الموج فى النيل ، والســـفن التى تجرى فيه ، وينظر الى ما حوله من مناظر الطبيعة ، فالشمس عند الأصيل كحورية فى وســـط الحـــقول تبكى فراق هذه الخضرة ، ثم يطلب من نهر النيل أن يهيب بالشـــباب اذا رآهم ورأوه أن يكونوا أقوياء كأمواجه ، وفيهم من الخـــير لبلادهم ما يجعلهم أهلا للفخر به ، فهو رى الآباء والأجداد . يقول :

يا ما رايت الســـــفين فى لجك الهـــادى
بين الهـــوى والحنـــين تصـــغى لأنشادى !!
والشمس عند الأصـــيل حول الصبايا الحسان

---

(٤٢) المصدر السابق نفسه .
(٤٣) المصدر السابق نفسه .

حـورية فى الحقـــون تبكى فراق الجنـان
قـل مرة للشـــباب ان جاء يشكو اليك
أصـخب كهذا العبـاب واملأ بسحرى يديك(٤٤)

وفى نهاية القصيدة ينادى النيل قائلا :

يا نيـــل يابن الخـلود يا مهـد أجـدادى
يا موكبـا من جمـــال يسرى على الكون
يا صـــفحة فى الرمال من سيف فرعون(٤٥)

واذا كان الشاعر فى هذه القصيدة العديد من الصـور التى تأخذ بالألباب جدة وطرافة فان له صورا وان كانت نادرة الا أنها جاءت دون المستوى الذى ننشده ، فمثلا يقول : ياما رأيت السفين ...

فعبارة (ياما رأيت) ابتذلت من كثرة ما استخدمتها العامة فهى تجرى على كل لسان وخصوصا فى الريف ..

وقوله : يا صفحة فى الرمال ..

لا تناسب نهر النيـل لأن الرمال سريعـة الزوال تغيرها عوامل التعرية حيث لا تثبت أمام الرياح ، وهو يريد لنهر النيل الخلود وأنه يسعد مصر منذ آلاف السنين فكيف يكون النيل صفحة فى الرمال؟(٤٦)

وان كنا نرى فى قوله « من سـيف فرعون » ما يشـير الى القوة والبسالة التى اكتسبها من سيف فرعون وانتصاراته ..

---

(٤٤) ديوان صلاة ورفض ص : ١٣٠ .
(٤٥) المصدر السابق ص : ١٣١ .
(٤٦) راجع : الروح المصرية فى شعر محمود حسن اسماعيل ص : ٢٢٥ .

وفى ديوان . (غاب نوسين) يتخذ الشاعر من النيل رمزا للحديث عن نفسه ، ففى قصيدة له بعنوان : « فاتنتى مع النهر » يعقد حوارا موضوعيا بين حبيبته والنهر ، لقد مرت هذه الفاتنة على النهر وتبادلا الحديث ، ومن خلال هذا الحوار الموضوعى بين الفاتنة والنهر ، يبرز الحوار الذاتى بينه وبين نفسه(٤٧) . يقول عن الفاتنة :

مرت على النهـر فقـالت له ... وجهه فى خشعة الساجد
يا نهر كم أسمعتنى الهوى درة ... وهات أخبارك عن عابدى
نجى أحلامى وشادى الهوى ... بمعجزات النغم الخـالد

يا نهر أسمعنى حديث الهوى ... وهات عن بلبلى الشادى

فغمغم النهـر .. وقامت لهـا ... أمواجه تلقى صلاة الحنين
والشـمس فوق الشط عربيـة ... صمراء كالشك بوجه اليقين
وقال : يا عـذراء ، عـدى أدراجك ... أسمار دمع ، ومغانى أنين
كم مر بى تحمـل أقدامه ... شجون أزمان ، وبلدى سنين
أتغامه مرتعشـات الصـدى ... والماى منجوع التغنى حزين
لم تدرك الدنيـا له مرحـة ... ينقلهـا موجى للعاشـقين
كأنمـا دوب أيامـه ... وعب منها سكرات الجنون
سـألته : يابن الأسى رحمـة ... فالنوح لايطرب سمع الصباح
نجرك رفراف الشـذا ، والمنى ... نوقك طير عبقرى الجنـاح
مالك لا تلهـم غـير الأسى ؟ ... ولا تغنى غير نار الجراح !
فقـال : يوما سـتلاقى هنـا ... عذراء من حور السماء الملاح

---

(٤٧) راجع التصوير الفنى فى شعر محمود حسن اسماعيل ص : ١١٨ .

تبحث عنى : فأجبها ... مضى صبك فى الليل غريب النواح
أنت التى أسلمته زورقا فى لجة الدنيا لهوج الرياح
فمرت كالنسيان بى وانطوى صباحه عنى شقيا ، وراح..
فاتنتى !! سر الهوى سابح فى نور عينك .. فلا تسألى!
فى رهرة المرج شذى نائم أخشى عليه يقظة المنجل(٤٨)

فالشاعر هنا من خلال الحوار الموضوعى بين الفتنة والنهر ، قد أبرز الحوار الذاتى بينه وبين نفسه ، مستعينا بالقص الخارجى الذى يعبر عن النص الداخلى فى اطار التجربة الخاصة للشاعر — ليقرر حقيقة الألم الذى يسيطر عليه نتيجة احساسه بالغربة فى هذا العالم المرير . والعنصر القصصى فى التعبير يجنب الشاعر المباشرة والغموض ويجعله أقدر على الايحاء فتكتسب به العواطف الذاتية مظهر الموضوعية(٤٩) .

وفى ديوان الشاعر المسمى (نهر الحقيقة) قصيدة فى النيل بعنوان (مع النهر) وفيها يجعل النيل باعث الحياة فى مصر فى سكونه وحركته ، وأمواجه مرآة « وهى سجادة للطهر والعبادة » والزوارق من فوقها كأنها حدائق ، ولولاه زهر الحقل ما تبسم ، وما كان لطير الروض هذا الترنم ، وهو كتوم لأسرار بلاده ، معطاء جواد كريم لا يرد سائلا ، ولا ينهر ذا حاجة .. يقول :—

---

(٤٨) ديوان قاب قوسين ص : ١٥٨ وما بعدها ط : أولى ١٩٦٤م دار العروبة .

(٤٩) راجع : التصوير الفنى فى شعر محمود حسن اسماعيل ص : ص١١٧ ، ١١٨ .

سكونه حياة •
ونطقه حياة •
والموج فوق صدره صلاة ••
حين تنام الريح •
والموج يستريح •
اخاله نشوان ، فى آفقه النعسان •
أقدامه وضوء •
للصمت والهدوء •
يمر بالحياة ، وموجه مرآه •
أمواجه سجاده ،
للطهر والعبادة •
تجثو بها الطيور ، وتمرح العطور •
وتصبح الزوارق •
كأنها حدائق •
مسحورة الأغصان •• فى ربوة النسيان •
كل رؤاه حب •
ومعبد ، ورب •
وكل ما فى شطه حياة •• ، وخطوة تحرك الحياة •
لولاه زهر الحقل ما تبسم •
لولاه طير الأرض ما ترنم •
فى صدره الأسرار ، عتية الأستار •
لا الريح تدرى أمرها ، ولا النجوم تعرف •
سعائن ولهانة ، وعاشق مطوف •

وصائد أيامه فى خيطه معلقة •
يلقى الشباك مؤمنا مؤملا ان ترزقه
والليل حـــون طـــرفه
للصـــبر مـــد طـــرفه
أو ما •• وظل سادنا يراقب الغيوبا
كأنه مدله ينتظـــر الحبيبـــا
وفجـــأة ••
صـــافحه الفجـــر
والأمل الموعود ، والنهر
فعـــاد للكوخ بحمد الله
والحب والايمان ، والحياه
سكونه حياة ، ونطقه حياة
والروح فوق صدره صلاة • !!(٥٠)

* ويتضح جليا أن القصيدة يغلب عليها الطابع النثرى ، وتكـــاد تخلو من الصور اللهم الا التشبيه البسيط للزوارق فى النيل بأنها حدائق ، وبعض الاستعارات : كجعله للنيل (صـــدر) والزهر كائنا يبتســـم ، وتبدو فى هذه القصيدة سيطرة النزعة الدينية على الشاعر ، فهو (فى تصويره للعالم ينطلق من فكرة سلامية امتزجت بفكرة رومانتيكية ، فبدا له الكون معبدا هائلا كل ما فيه يسبح بحمد الله ـ تعالى ـ)(٥١)

اذا بدا له النهر طاهرا ، وأمواجه سجادة •

---

(٥٠) ديوان نهر الحقيقة ص : ١١٦ وما بعدها ط : أولى ١٩٧٢م • الهيئة العامة للكتاب •

(٥١) جريدة الأهرام مقال للأستاذ / أحمد عبدالمعطى حجازى بعنوان (الاستعارة وحدة الوجود) ص : ١٢ بتاريخ ١٩٨٩/٢/٨م •

* وفى ديوانه (قاب قوسين) قصيدة بعنوان (النيل نعسان) وفيها يصور الشاعر النيل فى احدى لياليه التى قضاها الشاعر فى قريته ، وقد استطاع الشاعر فى هذه القصيدة من خلال عبقريته الفذة، وموهبته المتأججة أن يمزج بين النيل وغيره من مظاهر الطبيعة والكون ، اذ جمع بين النيل ونجوم السماء فى صورة واحدة ، وفيها يجعل النيل ، انسانا ويضفى عليه من وسائل التشخيص ، يقول :—

ذهبت له والأنجم البيض حوم
على خمرة كالطير نحو وترشف

لهـا رعشة مسحورة فى عبابه
وهمس حديث فى الحنايا مرفرف

صبته الروءى ، فانساب نعسان مثلما
على راحة المحبوب هوم مدنف

وتمتم كالجبار ميـله الكرى
وفى قمة ذكرى البطولات تهتف

عتى يهاب الدهر حرمة ساحه
ويفزع اعصـار الزمان المطوف

فكيف تغشـاه الكرى وسجابه
وسجاه فى الأحلام سر مغلف ؟

خشوع وتسبيح وطهر كأنـه
بكف الليـالى أو بكفى مصحف

وصومت على الشطان ، اسمع خلفه
صدى الأبد المكتوم للروح يعزف

ودنيـا أغان فى الضفاف نشدتها
فعدت ، وأوتارى من الوجد تنزف

فيا نيل ! كاشفنى السريرة واسقنى
من الغيب سلوانى ! اذا كنت تعرف(٥٢)

* فالأنجم البيض وانعكاسها فى مياه النيل واهتزازها فيه تشبه طيرا تحسو وترشف من مائه ، والنيل قد صبته الروءى وهو فى انسيابه فى هدوء يشبه مريضا يتكىء على راحة محبوبه ، والنيل يخرج أصواتا غير معروفة يشبه جبارا يتمتم فى نومه ، والنيل قوى يخشاه الدهر ويهابه ، ويفزع منه الزمان ويرعوى •

* والنيل عابد متبتل ، « ومن شأن العابد أن يقدم هو الآخر ، فروض الطاعة والولاء كى يحظى بالثواب ، لعلها الخشوع والتسبيح ومراسيم الصلاة والعباده التى تنم عن روح شفافة تجهد فى محراب التجريد كى تكتشف السريرة •

وخشوع النيل العابد بهذا الشكل ربما كان عالما خصبا لتأمل الحقيقة واستجلاء أسرارها »(٥٣) •

وفى ديوانه : (نار وأصفاد) تحدث الشاعر عن النيل وسحره وجماله وهو بصدد الحديث عن المستعمرين ، حينما أنزلوا علم الاحتلال ــ كذبا ــ من معقل الاستعمار فى (قصر النيل) ومن خلال حديثه عن النيل وصورته الجميلة يكشف عن زيف وكذب المستعمر ، والقصيدة عنوانها : « الجلاء الكاذب » وفيها يقول :ــ

* عابر يحمل فى جنبيه أسرار الزمان
* وعلى كفيه للعشاق خمر وأغان

---

(٥٢) ديوان : قاب قوسين ص : ١٧٦ وما بعدها •
(٥٣) التصوير الفنى فى شعر محمود حسن اسماعيل ص : ١٦١•

* مر بالدنيا قديما فشجاها،وشجاني
قلت من أنت ؟ فقالت موجة فوق عبابه
ساهر يجري وحلم الخلد ... هم يجري في ركابه
* أغريب أنت يا نيل مشوق للمغاني ؟
* أم حبيب يشكب الأشواق في كل مكان !
* قلت للدوح : هنا الخلد ! فمن أين أتاكا !
* وسألت الطير : من أعطاك تاياً ، ورعاكا !
* وسألت العشب:من سواك عطراً،وسقاكا ؟
* ثم أصغيت فلم أسمع سوى آهات صدري
* واذا الموج يغني ضاع في الشطآن سري

* كلنا يا نيل أصبحنا حيارى في هواكا
* كادت النشوة تجرينا رحيقاً في حشاكا ...(٥٤)

ـ فجمال النيل قد سيطر على حس الشاعر ، فجاءت الكلمات التي تشيع الحب والعشق مثل : العشق ، الأغاني ، الشجو ، الحلم ، الموج ، الحبيب ، الأشواق ، الطير العشب ، الى آخر هذه الكلمات الرقيقة المفعمة بالمشاعر الدافقة بالحنان والحب حتى ينتهي الى غرضه الذي هو عنوان القصيدة ، فيعالجه أيضا ، متخذا النيل عنصرا أساسيا ، يقول ـ

* قيل : ان الذئب عن غابك يا نيل ترحل !
* آد لو كان على الأسوار لا يأويه معقول !

---

(٥٤) ديوان : نار وأصفاد ص : ٦٤ وما بعدها ط : أولى ١٩٥٤م مكتبة الأنجلو القاهرة .

* فى غد تمشى اليه صف أحرار يجلجـل
لا ترى فينا آخا يخذل فى الركب أخاه
فى سبيل العزة الكبرى سيجدونا الاله
... ... (٥٥)

* ان الشاعر هنا استطاع أن يوظف أشـياء الطبيعة (ممثلة فى النيل) ليعبر من خلالها عن قضايا أساسيه ضاقت بها نفسه ، واستطاع من خلال الطبيعة أن يكشف زيف المستعمر ، ويسخر من وعوده الكاذبه التى كان يمنى بها الشعب المصرى دون وفاء لوعوده .

والنيل فى رؤى الشاعر يعنى ازدهار التـاريخ ومجده فى هـذه البلاد ، فقد تمتع به وعاش على شطيه رمسيس وغيره من القدمـاء ، يقـول :—

* لم يزل فى جوه من خيل رمسيس الصهيل
* وخطا « عمرو » على الشطآن يرويها النخيل
* وأغانى المجد كادت من ربى الشمس تسيل(٥٦)

فالنيل يحكى قدم الحضارة على أرضه ممثلة فى ذلك الملك القديم صاحب الخيل (رمسيس) والنخيل يروى قصة فتح مصر بقيادة القائد المسلم (عمرو بن العاص) ومجد النيل عريق وتليد .

كذلك فالنيل واهب العطاء للانسان ، وعطاؤه فى كل مكان : —

* أينما حـل ... فعطر وربيع وشباب
* والربى أعراس حب وندامى وشراب(٥٧)

---

(٥٥) ديوان نار وأصفاد ص : ٦٧ .
(٥٦) المصدر نفسه ص : ٦٦ .
(٥٧) المصدر نفسه ص : ٦٥ .

وفى ديوانه : (أين المفر) تلتقي مع أروع قصائده فى النيل وأجملها وعنوانها : (النيل) وقد رسم فيها الشاعر صورة جميلة للنهر العظيم ، توضح جماله وسحره وعراقته وهيام الناس به وجمال الشاطىء ، وجريان الماء فيه والهامه الشعراء ، ومع أن هذه المعانى رأينا شيئا منها فى القصائد السابقة للشاعر الا أن الأسلوب فى هذه القصيدة يختلف ، وذلك نابع من أن شعره فيها (سهل يشيع منه الجمال وتفوح منه رائحة الطبيعة المصرية ... والأبيات تنبعث من قيثارة فرحة مقبلة على الحياة)(٥٨) يقول :ـ

مسافر زاده الخيال ... والسحر والعطر والظلال
ظمآن ! والخمر فى يديه ... والحب والفن ، والجمال(٥٩)

* ولا غرو أن يصبح النيل هو الوجود ، كما يستمد الوجود حياته من النيل (والفن والجمال عنصران موجودان فى عالمه ، الخمر والحب، والفن والجمال رموز اللذة عند النيل وهى نسبية ، ولأن النيل يدرك سر صنعتها ، فهى بالنسبة له مألوفة • وظمأ النيل متعلق بالبعيد والغريب ، ظمأ يرتبط بالزمن ، والزمن بعيد البداية ، كم شابت الليالى على أرضه ، وضيعت الأعمار ، وتوالت الأجيال على الرغم من ارتباطها بالثابت والراسى !! ..)(٦٠) •

شابت على أرضه الليالى ... وضيعت عمرها الجبال

---

(٥٨) شعر محمود حسن اسماعيل دراسة فنية ص : ٢٣٠ ، ٢٢٠ •
(٥٩) ديوان : أين المفر ص : ٨٥ ط : أولى ١٩٤٧م • مكتبة الأمل ـ الكويت •
(٦٠) التصوير الفنى فى شعر محمود حسن اسماعيل ص : ١٥٧ •

ولم يـزل يطـلب الديـارا
ويمـتـل النيـل والنهـارا

والناس من حوله سكارى هاموا على أفقه الرحيب
آه عـلى سرك الرهيـب وموجك الثائـه الغريب
يا نيـل يا سـحر الغيـوب(٦١)

* والنيل لا يعنى غير انسان الشاعر الذى يحمل بين جنبيه زاده من التراث الذى يحفظ عليه خصائصه ولكن ضياعه الاجتماعى والسياسى فى بعض فترات التاريخ يجعله غير أمن فى مأكله ومشربه انه لم يستطع بعد أن يترجم هذا التراث الضخم الى الحياة رغم توانى الليالى والأيام وتزاحم التجارب ، النيل يكتم الأسرار فى صدوره والأستار عليها كثيفة، كما أن ما فى صدر الانسان لا يحده الا الخيال والسحر والجمال وهيمان العـاشـق(٦٢) .

ويواصل الشاعر حديثه عن الخشوع والعبادة للنيل ، فيقول :ـ

متـوج أنـت فى الـروابـى
بـلا عـروش ، ولا قبـاب
كـم راحت الشـمس فى ضحاهـا
تعـب من نـورك المـذاب
وأنجـم الليـل كـم طواهـا
هـواك فى خيمـة العبـاب
وكـم قـوى اليـك سـارا

---

(٦١) ديوان آبن المقر ص : ٨٧ .
(٦٢) التصوير الفنى فى شعر محمود حسن اسماعيل ص : ١٥٧ .

بموكب يقظ الصحارى
رددت ركبانه حيارى
وأنت فى مهدك الرطيب
آه على حلمك العجيب
والموج نعسان فى المغيب
يا نيل يا ساحر الغيوب(٦٣)

* ثم انظر الى هذه المقطوعة الجميلة :

سمعت فى شطك الجميل
ما قالت الريح للنخيل
يسبح الطير أم يغنى
ويشرح الحب للخميل
وأغصن تلك أم صبايا
شربن من خمرة الأصيل
وزورق بالحنين ثارا
أم هذه فرحة العذارى ؟(٦٤)

* ثم يفصح عن مدى حبه للنيل ، فيقول :

تجرى وتجرى هواك نارا
حملت من سحرها نصيبى !
وطفت حيران بالهضيب
فلم تدعنى بلا حبيب

---

(٦٣) ديوان أين المفر ص : ٨٦ .
(٦٤) المرجع السابق نفسه .

يا نيل ياساحر الغيوب !(٦٥)

* ثم يرتفع بالنيل فلا يقف عند كونه خالدا فقط ، بل هو واهب الخلد للزمن وان حملت كثيرا من المبالغة فالواهب والموهوب كلاهما الى فناء، وهو ملهم الشعراء ، والشاعر هنا يشير الى قوة السبب عن طريق المجاز العقلى لأن النيل هو الفاعل الحقيقى .

يقـول :

يـا واهـب الخـلد للزمـان
يـا سـاقى الشـعر والأغـانى
هـات اسـقنى ، اسقنى ودعنى
أهيـم كالطـير فى الجنـان(٦٦)

وهو لا يريد أن يفيق من ذلـك ..

* ويبلغ الشاعر قمة الامتزاج بينه وبين الطبيعة على طريقة الرومانسيين فى نهاية القصـيدة فيقول :

يـا ليتـنى موجـة .. وأحـكى
الـى ليـاليك مـا شـجانى
وأعتـدى للريـاح مـارا
وأحـمل النـور للحـيارى
فـان دعـوانى الهـوى طـارا
كـانت ريـاح الـدجى طبـيبى

---

(٦٥) المرجع السابق ص : ٨٧ .
(٦٦) ديوان أين الفر ص : ٨٧ .

آه على سـرك الرهـيب
وموجـك التـائـه الغـريب

يا نيل ياساحر الغيوب !!(٦٧)

* والواقع أن هذه القصيدة ، تعد أغنية جميلة ، ضمت الكثير من الأمجاد والأوصاف لنهر النيل الخالد .

.. وهكذا تحدث الشاعر : محمود حسن اسماعيل ، عن النيل حديث المعجب بجلاله ، المأخوذ بجماله ..

... تحدث عن منابعه ومياهه وقدم حضارته ، وخيراته العميمه ، وعبادة القدماء له وجعلن شاطئيه وغير ذلك من الأوصاف المتنوعة التى سبق أن عرضنا لها فى موضعها ..

وبعد ... فذلك هى مكانة نهر النيل فى وجدان شاعرينا : أحمد شوقى ، ومحمود حسن اسماعيل ، ومن خلالها يمكننا استنتاج ما يلى :

أولا — تفرد نهر النيل من بين أنهار الدنيا بشخصية متميزة تجاوزت طبيعته الجغرافية حتى أصبح عنصرا من عناصر التكوين الاجتماعى لشعوب وادى النيل ، واليه تعزى أقدم حضارة عرفها التاريخ المصرى على مر العصور .

ثانيا — نهر النيل مصدر الهام الشعراء ، فقد تغنوا به وأعجبوا بجماله ، وأمدهم النهر بالخيال الخصب فرسموا صورا ناطقة معبرة ، ومع ذلك لم يحظ النيل من الشعراء العرب القدامى بالاهتمام المنشود،

---

(٦٧) المصدر السابق نفسه .

وكذلك الشعراء المصريين الذين عاشوا فى العصور المتأخرة أو فى مطلع العصر الحديث •

ثالثا ــ يعد الشاعر أحمد شوقى أول شاعر عربى يخص النيل بقصيدة مطولة تناول من خلالها الكثير من الأوصاف التى تتصل بالنهر الخالد ، ثم توالت بعد ذلك القصائد التى تناولت نهر النيل •

رابعا ــ يمثل النيل فى رؤى الشاعرين مكانة تكاد تكون واحدة • فالنيل خيراته دائمة وهو باعث الحياة فى مصر ، والنيل معطاء جواد كريم اذ هو الذى يطعم ويسقى وينفق دون كلل او ملل على مر العصور ، والنيل بسببه تحيا الأرض مخضرة بعد موتها ، والنيل قديم قدم الزمن والناس كلهم فى خضوع له ، وحاجة اليه ، فخصبه أساس الحياة وخيره للجميع ، ومع أنه مرت عليه الدهور حتى شاب الزمن الا أنه كما هو يعطى دون انقطاع ؛ والنيل قوى الشكيمة ، صلب المراس ثبت أمام أحداث التاريخ• والنيل ملهم للأدباء والشعراء، والنيل وفى بعهده فى اكرام بنيه وكتموم لا يبوح بأسرار بلائه على مر الأيام •

كذلك التقى الشاعران فى حديثهما عما دار حول منابع النيل ، وعبادة قدماء المصريين له ، وذلك نابع من عظمته فى روعاهم ، فلم لا يوله من يقوت ويرزق ؟ •

كذلك تحدث الشاعران عن جمال شطئ النيل والزوارق التى تسبح فيه وقد اتسمت معانى شوقى وأفكاره بالعمق والاستقصاء ، والشمول بينما اتسمت معانى محمود حسن اسماعيل فى بعض مواقفه من النيل بالسطحية واللمحه العابرة •

خامسا ــ انفرد شوقي في حديثه عن النيل بالاستطراد الى عدة قصص : كقصة ملوك مصر والصروح الشامخة التي شيدوها ، وقصة مجد مصر القديم ، والآثار المصرية ، وقصة موكب فرعون ، وقصة عروس النيل ، وحقيقة العالم السفلي وقدرة الله ــ تعالى ــ وسلطة الكهنة ، وعلاقة مصر بالأنبياء ، وقصة فتح العرب لمصر • وحاول وصل كل هذه القصص بالنيل دون أن نشعر القارىء بالملل ، أو أنه ابتعد عن الغرض الأساسي للقصيدة •

وان كان محمود حسن اسماعيل قد ألمح الماحا الى الفراعنه ، وفي بيت واحد الى عمرو بن العاص فاتح مصر ، وذلك لأن النيل ترسب في وجدانه وسيطر على مشاعره منذ نعومة أظفاره فعبر عنه عاطفة وفنا فلم يقحم العلم والتراث كما فعل شوقي •

سادسا ــ لجأ الشاعران الى العديد من الصور الفنية : الجزئية والكلية التي تقوم ، على التشخيص والتجسيم ، والتي أضفت على النيل روعة وبهاء •

سابعا ــ نجد بعض الملامح في موقف الشاعرين من النيل شبيهة بموقف الرومانسيين من الطبيعه وانعماسهم فيها ومناجاتها ، وجعلها الملاذ الأول الذي يلجأون اليه للهروب من زخرف الحياة العادية الزائف ، وهذا يبدو عند : محمود حسن اسماعيل أكثر مما جاء عند شوقي ••

اعداد

دكتور/ عمر عبد المعبود عبد الرحمن

مدرس الأدب والنقد بكلية اللغة العربية

جامعة الأزهر بأسيوط